

خطاب أمين القدس، روعي الخطيب، في افتتاح المؤتمر الأول لمنظمة المدن العربية، يدين فيه الإجراءات الإسرائيلية التي لم توفر المقدسات الإسلامية من تدينيس وتحقير سواء منها المسيحية أو الإسلامية، أبرزها ما يتعرض له مسجد الأقصى والصخرة المشرفة من إساءات يومية عن طريق فتياتهم وفتيانهم*

بيروت، 1968/7/29

(محفوظات مؤسسة الدراسات الفلسطينية)

... لقد عشت في القدس بعد الاحتلال الإسرائيلي الأخير تسعة أشهر تحت حكم إسرائيل العسكري، ولقد اجتمعت باخوان لكم ولنا، ممن سبقونا ورزحوا تحت حكمه القاهر زهاء عشرين عاماً، وأستطيع أن أصرح، أن ما شاهدته وسمعته، وما لمستته واختبرته، يؤكدان لي، بما لا يدع مجالاً للشك، ان القوم ماضون في تنفيذ مخططاتهم الرهيبة، ضد العرب وأقطارهم، من احتلال لأراضيهم، وتسلط على ثرواتهم، وتشريد لجموعهم، مبتدئين بفلسطين، وامتوسعين تدريجياً، غداً بالأردن، وبعد غد بسورية، وما يليه بمصر ثم بالعراق ولبنان وقسم من السعودية ليعلموا بعدها إسرائيل التاريخية، إسرائيل الكبرى. وإنهم، في سبيل ذلك، لن يتنازلوا عن شبر مما احتلوه إلا بالقوة، وإن كل ما يدعونه من رغبات في السلام، ليس أكثر من تمويه وخداع للرأي العام العالمي، واكتساب للمزيد من الفرص لترسيخ أقدامهم في الأجزاء التي احتلوها، وتذويب لسكانها وتطويق لمن يبقى من الصابرين فيها.

في الجولة الأولى بعد حرب 1948، صمد أهل الناصرة الأبطال ولم ينزحوا عن مدينتهم كما نزح الكثير من سكان المدن العربية الأخرى، ولم يعجب هذا الصمود إسرائيل، فأخذت تسلط عليهم بعض الأحكام من نوع ما قاساة الكثير من شعبنا تحت الحكم النازي، وزادت عليه من مبتكراتها الأنكى والأشد إيلاماً في الأجسام والنفوس، وباشرت وشرعت قانوناً أسمته قانون الاستملاك للمنافع العامة، باشرت بمقتضاه بالاستيلاء بالقوة وبالاغتصاب، على أراضي العرب حول مدينة الناصرة، لقاء أثمان رمزية اسمتها تعويضات، ولم تعبأ باعتراضات أولئك الأخوان ولم تعر معارضتهم أي التفات، وحولت تلك الأراضي إلى مدينة إسرائيلية جديدة، اسمتها الناصرة العليا، طوقت بها مدينة الناصرة العربية، وكتمت أنفاس أهلها، ووضعتهم في ظروف اقتصادية واجتماعية مجحفة، جاعلة منهم مواطنين من الدرجة الثالثة، لا فرص لديهم للتوسع وحالتهم كما شاهدتها تدعو للحزن وللتأمل العميق.

وما طبقته إسرائيل في الناصرة خلال العشرين عاماً الماضية، قد بدأت تطبيقه، وبصورة أوسع، ووقت أسرع، على مدينة القدس، مستفيدة من تجارب الناصرة، ومتطلعة لتحدي العالم

* المصدر: جورج خوري نصر الله، جمع وتصنيف، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1970)، 550-553.

ووضعه أمام واقع يفرضونه بالقوة من جهة - وبالحماية الأميركية من جهة أخرى. فمنذ الأسبوع الأول، هدمت القوات الإسرائيلية العسكرية القسم الأكبر من حي المغاربة داخل السور والمجاور للحرم القدسي وللبراق الشريف، هدمته بالجرافات دونما انذار لأهله وسكانه البالغ عددهم حوالي (650) وشردتهم في ظروف تعيسة لا تقل هولاً عما كنا نسمعه من نزوح الهاربين من الحكم النازي إبان الحرب العالمية الثانية.

ولم يطل الأسبوع الثالث، حتى فاجأتنا سلطاتهم العسكرية وفاجأت العالم بأسره باعلان ضمها للقدس إلى حكمها، وبحلها لمجلس أمانتها، وبعزل رئيسها ووضعها المدينة بأجمعها تحت الحكم الاسرائيلي المباشر، ضاربة عرض الحائط بالقوانين الدولية التي تفرض عليها عدم اجراء تغييرات في صفة البلد المحتل كما تفرض عليها ضرورة مراعاة قوانينه وأنظمتها. وفرضت هذه السلطات على المدينة وعلى سكانها التعامل بالقوانين والعملة الإسرائيلية وتبديل برامج التعليم العربية بأخرى إسرائيلية، لتطمس الثقافة والتاريخ العربي، ولتغسل أدمغة الجيل الجديد منه إذا ما بقي الزمن لهم مبتسماً والغرب لهم مسانداً.

وقبل أن يكتمل العام تحت هذا الحكم الجائر أمطرت سلطاتهم عرب القدس بسلسلة من أوامر الاستملاك والاعتصاب للأراضي والأماك، وبموجب هذه الأوامر، استملكوا حوالي 4395 دونماً من الأراضي العربية خارج السور، وهذه تعادل أكثر من ثلث ما تبقى للعرب من أراض خارج السور، كما استملكوا في داخل السور أراض مساحتها حوالي 116 دونماً وهي تعادل خمس مساحة داخل السور تقريباً، عليها 595 عقاراً عربياً تضم 1048 شقة سكن و437 مخزناً تجارياً ومدرسة للبنات وأربعة جوامع وعدداً وافراً من الأبنية الأثرية ذات الطابع الهندسي العربي الاسلامي، وسكن ضمن هذه الاملاك حوالي (6000) عربي أكثرهم من الطبقة العاملة والفقيرة ويعمل فيها حوالي 700 بين عامل وصاحب عمل، وجميعهم معرض للنزوح وللتشريد. وفي الوقت الذي يشردون فيه السكان العرب من داخل السور ومن خارجه، ويستهدفون تقليص عددهم نراهم يزيلون ما على هذه الأراضي من أملاك، ويزيلون معها الطابع العربي والاسلامي، وينشئون مكانها أبنية جديدة لا يواء حوالي عشرة آلاف يهودي داخل السور، وحوالي ثلاثين ألفاً خارجه.

وتنفيذاً لهذه المخططات المبيدة للجنس العربي، وللطابع العربي في مدينة القدس، باشرت سلطات إسرائيل وبأقصى ما تستطيع من سرعة ووفق برنامج عسكري، هدم أحياء عربية جديدة داخل السور، وقد شملت حتى الآن مسجدين وزاوية للامام الشافعي وكلها قرب البراق الشريف وملاصقة للحرم القدسي، بالاضافة إلى أعداد من دور السكن والمخازن، كما باشرت بناء مائة وحدة سكن خارج السور وفي أراض عربية تشكل نطاقاً عازلاً لعرب المدينة عن إخوانهم في المناطق الواقعة للشمال، ومن جملتها مطار القدس ومدينتي رام الله والبييرة وكذلك نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية والمئات من القرى العربية. وتشمل أعمال الهدم المقررة، زاوية مسلمي

شمالي افريقية المشهورة والمعروفة بزاوية أبي مدين الغوث، وأربعة مساجد صغيرة وباقي الأملاك المستملكة.

وإلى جانب هذه الاجراءات، فقد تسربت الأخبار مؤخراً، عن نوايا استملاكات جديدة تستهدف مناطق شرقي المدينة وجنوبها، بحيث يتم تطويقها وحصر العرب ضمن منطقة ضيقة فيها، غير قابلة لاستيعاب المزيد من أعدادهم، وجعلهم أقلية وتحويل المدينة إلى أكثرية عظمى من اليهود، ومجابهة العالم أجمع بواقع الحال.

وليس خطر الاستملاكات بأقل من خطر وضع اليد الإسرائيلية على قسم كبير من أملاك العرب الغائبين، سواء من كان غيابهم بحكم العمل المؤقت في إحدى البلدان العربية أو السفر لسبب أو لآخر، أو اللجوء أو بسبب النزوح القاهر. وبموجب أحكام قانون جائر استنوه لهذه الغاية، وضعت إسرائيل يدها على نسبة كبيرة من أملاك إخوانكم الغائبين، لا تقل مساحة وقيمة عن التي اغتصبوها بموجب قانون الاستملاك.

ولم يوفر القوم مقدساتنا من تدنيس وتحقير سواء منها المسيحية أو الاسلامية، ولقد أفاضت الصحف بالكثير من الأمثلة عنها، ولعل أبرزها ما يتعرض له مسجد الأقصى والصخرة المشرفة من إساءات يومية عن طريق فتياتهم وفتيانهم بملابسهم الخليعة وسلوكهم المستهجن، وليس لهم من رادع طالما ظلت سلطاتهم العسكرية مستولية على مدخل أحد أبواب الحرم الشريف، تدخل منه من تشاء من عديمي الذوق والاباحيين، ضاربة عرض الحائط باحتجاجات رجال الدين الاسلامي ومطالباتهم المستمرة باسترجاع مفتاح ذلك الباب وباخضاع الزوار لساعات معينة ولقواعد الحشمة والوقار.

ولم يخف القوم مطامعهم في استملاك الحرم الشريف وإقامة هيكل لهم على انقاض مسجدي الأقصى والصخرة المشرفة، فلم يكد يمضي شهران ونصف على احتلالهم للمدينة، حتى تسلل أحد كبار رجال الدين اليهود في لباس عسكري، واصطحب معه حوالي خمسة عشر رجلاً دينياً منهم بألبسة عسكرية أيضاً، وأقاموا صلاة يهودية لهم في داخل ساحة الحرم الشريف وقرب باب المسجد الأقصى بالذات، واستغرقت تلك الصلاة حوالي ساعتين.

وفي وقت لاحق بعد ذلك، خطب وزير الأديان عندهم في مؤتمر ديني كبير عقد بالقدس وضم ممثلين عن رجال الدين اليهودي من كافة أنحاء العالم، أعلن بكل وضوح وبساطة أن موقع الحرم الشريف هو ملك إسرائيل بحكم الشراء وبحكم الفتح، مفسراً ذلك بأن أجدادهم فيما مضى قد اشتروا أرض الحرم من أصحابها اليبوسيين، وأن قواتهم قد احتلتها أخيراً بقوة السلاح. ومنذ مدة قريبة أرسل بعض الماسونيين منهم، رسالة إلى السلطات الاسلامية في المدينة، يعرضون فيها رغبتهم في شراء قطعة من أراضي الحرم الشريف لقاء مبلغ مغر من المال، وكان الجواب البديهي السريع لذلك هو الرفض.

لكن وسائلهم ليس لها حد ولا نهاية، فقد باشروا منذ مدة حفريات ملاصقة للمسجد الأقصى من الخارج، وتشير الأخبار إلى تعمقهم فيها، وانحرفهم إلى داخل الحرم بشكل نفق من

أسفل، ورغم الاحتجاجات التي قدمتها الحكومة الأردنية لمنظمة اليونسكو لايقاف هذه العمليات، فإن تلك الحفريات ما زالت سائرة ومستمرة بشكل أوسع وأسرع وتشكل خطراً مباشراً على البناء وعلى الموقع.

لقد كابد أهلكم في القدس وفي الأراضي المحتلة الأخرى من كيد العدو وسلطاته، المدنية منها والعسكرية، ما لا يوصف من ألوان العسف والظلم ومحاولات الاندلال، ورغم كل ذلك، فمنعوياتهم ما زالت عالية، ومقاومتهم تشدد، فقد رفضوا استمرار أي حال من حالات التعاون، فالمجلس البلدي رفض أكثر من مرة عروضاً إسرائيلية للاشتراك في مجلس بلدي مشترك، وأصر على العودة مستقلاً وبعد إلغاء الضم، وتمسك بالسير بموجب الأنظمة والقوانين الأردنية. وكذلك رفض رجال الدين الاسلامي والمحاكم النظامية والشرعية والمحامون، رفضوا التعاون وما زالوا يقاسون، وأهل المدينة امتنعوا عن دفع الضرائب والرسوم، وسيدات البلد ورجالها قاموا بعدد من المظاهرات الاستنكارية رغم شدة القمع وتعسفية الأحكام، والقدس وما حولها والأراضي المحتلة بأجمعها في غليان ومقاومة مستمرة، ثابتون على الصمود، ومقدمون المزيد من التضحيات، رغم الحاجة ورغم الضيق ورغم شدة البطش.

فخامة مندوب الرئيس،

قدسكم، قدس العرب، قدس المسيحية وقدس الاسلام في خطر، خطر التهويد، خطر الصهيونية وخطر العسكرية الإسرائيلية المهتدة لسلامة ولأمن الشرق الأوسط بأجمعه.

حضرات الاخوان الاجلاء،

اخوانكم العرب في القدس، وفي البلاد المحتلة مهددون بالتشريد وبالغناء، وقد صمدوا حتى اليوم، وهم مواصلون العزم على الصمود والثبات والتضحية، ولكي تستمر مقاومتهم، ولكي تشدد هذه المقاومة، فإنهم بحاجة إلى مساندتكم، وإلى مساندة كل الشعوب العربية. إنهم في خط العرب الأمامي من جبهة القتال، وإن عدونا المشترك يواصل التعبئة ويواصل الاستعداد لجولة أخرى ولجولات، تستهدف المزيد من مدننا ومن أقطارنا.

إن العبء لثقيل، وإن المستقبل للأكثر صبرا وللأقوى وللأصلح، وأمة العرب والحمد لله، قوية بإيمانها، قوية بمواقفها، غنية بثرواتها، عزيزة بصلابة بناتها وبنيتها، تواقفة لأن تكون الأصلح والأحفظ لتراثها وأوطانها. أن العبء الأكبر من أعمال الصمود والاعداد لمستقبل أفضل يعود للمدن والمسؤولين فيها، وأنكم لأهل لتحمل هذه الأعباء، وأهل لحمل رايات البناء لمجتمع أصبر وأقوى وأصلح لتسجيل صفحات جديدة في سبيل استرداد هيبة العرب ومكانة العرب وعزة العرب.

واختتم، فخامة مندوب الرئيس، كلمتي بتوجيه تحية للصامدين من إخوانكم، وتحيات
ملؤها الإكبار والتقدير للفدائيين الأبطال حيثما يكونون، وبشكر من القلب لجمعكم الكريم
لتخصيص هذه الفرصة لي للتحدث نيابة عن القدس مكرراً عهد القدس بالعمل والثبات والتعاون،
حتى نلتقي في مؤتمرننا القادم في ربوعها المباركة بإذن الله، والسلام عليكم.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbrt@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه الوثائق أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/>